المحاضرة الأولى

مدخل عام الى سوسيولوجيا العمل (المفاهيم النشأة والخصائص)

يحظى موضوع العمل باهتمام العديد من الباحثين والعلماء في عدة تخصصات، وهو قاسم مشترك ومفهوم محوري في فروع متعددة من حقل علم الاجتماع (الاقتصادي- الصناعي- التنظيمي) ويمثل أيضا أساس النظرية الاجتماعية في علم الاجتماع ، ومفتاح للعديد من المشكلات ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي، ولفهم سوق العمل وما ينجر عنه من ظواهر اجتماعية .

يعرف العمل بأنه ذلك الجهد العضلي والفكري الذي يقوم به الفرد ويكون بشكل رسمي مأجور يخضع لتنظيم ولقواعد العمل (عقد العمل) يرتقى العامل من خلاله في السلم الوظيفي داخل العمل حتى سن التقاعد، ويشكل العمل تلك العملية التي يمارس بها الإنسان تأثيره في الطبيعة، وينظم بها ردود أفعاله وسلوكياته وعلاقاته الاجتماعية.

يعالج مقياس "سوسيولوجيا العمل" الإطار العام للعمل ومدى تأثير نشاطاته المتجددة على المجتمع، خاصة من حيث ما تنتجه التقنيات والتكنولوجيات الحديثة على الانسان وعلى محيطه، ويعالج أيضا ما وصلت إليه الآلة من تقدم وتأثير على سلوك الفرد والجماعة، و ما ينجم عن ظاهرة العمل من تحولات جوهرية للبنى الاقتصادية والاجتماعية.

تعد "سوسيولوجيا العمل" أو "علم اجتماع العمل" فرع من فروع علم الاجتماع، و يتناول بالدراسة والتحليل مجموعة من الظواهر الاجتماعية التي لها علاقة بظاهرة العمل وكل ما يحدث عن التفاعل الاجتماعي داخل محيط العمل والصناعة وجماعات العمل.

- **المفاهيم والمصطلحات الأساسية حول العمل :**

✓ **مفهوم العمل:**

يعد مصطلح **العمل travail** من المصطلحات الاساسية المعقدة والمتعددة الابعاد، يعرف في موسوعة علم الاجتماع بأنه:" نشاط انساني يزاول من أجل توليد الكسب والبقاء، أو يكون العمل انتاج للسلع والبضائع".

أما في قاموس جورج مارشال أن العمل هو:" توفير الجهد الجسماني والعقلي والعاطفي لانتاج السلع والخدمات سواء للاستهلاك أو لكي يستهلكها الآخرون."

وعن منظمة العمل الدولية فقد أعطت للعمل شكل جديد وتسميته بالعمل اللائق فهو: " اتاحة فرص لكل من الرجل والمرأة للحصول على عمل لائق ومنتج ، في ظروف من الحرية والمساواة والامان والكرامة البشرية. "

فالعمل بهذه المعايير يعد هدفا لانتاج معين يكون نافعا للبشرية لاقتصاد البلد وينجز بكفاءة وعليه أن يكون في شروط حماية حقوق الانسان والعامل خاصة ويصون كرامته، أي لا يكون نظاما عبوديا ولا نظام السخرة ولا قاهرا لمكانة العامل كإنسان .

نجد تعريفا آخر لعالم الاقتصاد " كولسون" Colson .R: العمل هو الوظيفة التي يقوم بها الانسان بقواه الجسدية والخلقية لانتاج الثروات والخدمات ... فهو يجسد ذلك النشاط العملي ويحدد أهدافه ومنفعته والقيمة الانتاجية.

والعمل عند " بيرغسون" Berkson ": العمل الانساني يرتكز على خلق المنفعة.

أما "ماركس" Marx و في كتابه رأس المال فإن العمل هو: عقد قائم بين الانسان والطبيعة، حيث يلعب الانسان ذاته، اتجاه الطبيعة دور احدى القوى الطبيعية، حيث يقول: "ان الأسلوب بغرض الانتاج أي في قيمة المنفعة ، أذ المادة الطبيعية تندمج في الحاجات الانسانية بفعل التغيير الشكلي". وهنا ماركس يحدد كيفية تحويل المادة الى سلع قوة وجهد العامل وبحسب حاجاته.

وسوق العمل هي "المكان الذي يجتمع فيه كل من المشتري والبائعين لخدمات العمل، يخضع لقانون العرض والطلب"

يعود مفهوم العمل الى "توما ايكويني" مستمدا فكره من آرسطو ، حيث قدم مفهوما للعمل العقلاني مقرون بالممارسات والحسابات، في حين من قبله نظر الى العمل من زاوية أخلاقية ودينية. وقد ساعد على ذلك التقنيات الاقتصادية والمهنية التي انبثقت عن الصناعة الحرفية والبورجوازية، حيث أصبح العمل مادة للعلم.

ولقد بدأ الاهتمام بالعمل لدى العديد من العلماء وذلك بظهور نظريات حديثة للعمل باستخدام المقاييس العلمية والتجربة الدقيقة منه العالم "غاليلي" ومقياس العمل الآلي، ثم جاء "آدم سميث" ليطور نظرية العمل وسوق العمل وفق معادلات حسابية وكذلك "كارل ماركس" ونظرية " فائض القيمة" ويتم عرض محتوى هذه الاتجاهات النظرية لاحقا.

ان مصطلح " العمل" في مفهومه الشامل هو المجهود الإنساني الإرادي الواعي، الذي يستهدف به انتاج سلع وخدمات بهدف إشباع الحاجات المادية والمعنوية، وهو الجهد الحركي والطاقة التي يستنزفها الفرد من أجل انتاج معين، هذا الانتاج يكتسي طابعا مزدوجا لمصلحة الفرد والجماعة ووفقا لشروط عقد العمل (الأجر، ساعات العمل، الحماية والأمن الخ...) وسوف نعالج في الجزء الموالي العمل من وجهة نظر علماء الاجتماع ثم من منظور نفسي وسيكولوجي وأخيرا حسب النظرة التشريعية للعمل.

- ✓ **العمل من منظور اجتماعي:**

ان العمل له جانبين من السلوك يكون حرا أو يكون اجباريا ، فالعمل يصبح سلوكا طوعيا وحرا حين يغذيه نظام مقبول من الحرية (يصبح العمل سلوكا حين يعبر عن الميولات الشخصية للفرد ويتم تحقيقها في منتوج معين أو سلعة ما) وهنا يكون العمل ذو معنى العمل اللائق وهو بذلك عنصرا وشرطا للكرامة البشرية، فالعمل يحدد مكانة الانسان ويرفعه عن مستوى الحيوانية والعبودية.

ان العمل ظاهرة إجتماعية تحمل أبعاد سوسيو – إقتصادية وأيضا أبعاد سياسية وقانونية ومن ذلك يمكن إخضاعها للدراسة وفق منهج علمي من خلال النقد والتحليل والاستنتاج (كما قال جورج فريدمان)، فالباحث السوسيولوجي يهدف الى دراسة هذه الظاهرة (العمل) ودراسة المجتمعات خاصة المكانة ، الدور، البنى التحتية، نوع العلاقات الانتاجية الخ... في إطار العمل الموجود، وكانت العلاقات الانتاجية متعددة ومتباينة وهنا يستخدم الباحث مناهج مختلفة منها معالجة: طبيعة العمل، تصنيف العامل في فئات اجتماعية، تعددية أوجه العمل للقوى العاملة في المجتمع، الجوانب الديمغرافية وتصنيف العمال سنا، مستوى ، جنس، جنسية الخ...

لقد ظهر الاهتمام بعلاقات العمل وما سمي في نهاية القرن 19 ميلادي ب"مشكلة العمل" مرتبطة بقوة بقضيتين أسسيتين لهما أهمية خاصة بالنسبة للمجتمع الصناعي ككل، الأولى تتعلق بقضايا الأمن والنظام الإجتماعي، والثانية تخص قضايا الخدمة والرعاية الإجتماعية.

ويمكن أن يحدد موضوع دراسة هذه العلاقات للعمل في موقفين أساسيين هما:

- الموقف الأول الذي يرى أن موضوع علاقات العمل هو دراسة الجوانب المتعددة والمختلفة في عملية العمل، بالتركيز خاصة على صياغة القواعد التي تحكم علاقات التوظيف (يركز هذا الموقف على عوامل الاستقرار والانتظام والتوافق المتبادل بين الأطراف المعنية بعلاقات العمل).
- الموقف الثاني يعتقد أن دراسة سيرورة الرقابة الممارسة على علاقات العمل، ويهدف أصحابه الى توجيه الاهتمام الى مسائل حساسة متصلة بالرقابة والقوة والمصلحة ، وكلها قضايا تؤدي الى الصراع وتغذيه بإستمرار.

إن الطبقة العمالية وجماعات العمل هي في سوسيولوجيا العمل عنصرا هاما في القوى الفعلية التي تؤثر على العمل وعلى فريق العمل وحتى على مواقف ومردودية العمال.

وهناك اختلافات من حيث الدراسات المنهجية، بشأن مسألة دراسة ظاهرة العمل، كما أشار اليها "جورج فريدمان" مع تأكيده على اختلاف أساليب البحث والمداخل المنهجية التي ينطلق منها الباحث السوسيولوجي في مجال تحليل ظاهرة العمل منها : أسلوب الوصف، أسلوب المقارنة وأسلوب التحليل الاحصائي وغيرها...

وهنا نوضح مسألة تعقد الظاهرة الاجتماعية للعمل و"عدم القدرة على معرفة جميع عناصرها، حيث أن أكثر العناصر صعوبة هي الفرد الاجتماعي".

فإذا كان الباحث الاقتصادي يحدد العمل من حيث الانتاج والتبادل والاستهلاك... فإن عالم الاجتماع يبحث عن الواقع الاجتماعي للعمل وعلاقاته، ويحلل نوع الصراع الصناعي، وطبيعة التكامل والتعاون، وأهم الطبقات وحتى خاصية الميولات والأحاسيس التي يجسدها الجانب السلوكي والسيكولوجي للعامل داخل محيط العمل وما ينتج عنها من علاقات اجتماعية داخل محيط العمل.

ونجد العالم "بارتولي" سنة 1957 يقول: "إن علم الاقتصاد هو علم العلاقات الإنسانية التي يخلقها العمل." أي أن العمل ليس مجرد سلع وخدمات وإنما علاقات إنسانية وتفاعل اجتماعي يحدده مكان العمل وينتج عنه مجموعة من ظواهر اجتماعية، وبذلك فالعمل يربطه الوعي الاجتماعي.